الاباء والبنون

﴿ رواية اجتماعية تمثيلية ﴾

لخليل نعيمه

(حقوق التمثيل محفوظة)

الفصل الرابع

الاشخاص — موسى بك العركوش ·

ام الياس ·

زينه · شهيدة · خليل · داود · الياس ·

الاسبوع الثاني بعد عيد الفصح · الساعة العاشرة صباحاً ·

(حديقة فاكهة حول بيت سماحه · الى اليسار يُرى جدار من جدران البيت فيه اربع شرفات في الطبقة الثانية ويلكون في الوسط · في وسط الحائط من الطابق الارضي باب الى جانبيه نافذتان · حول الحديقة من الجهة الشمالية والغربية حائطان عاليان من الحجر · في الزاوية الشرقية من الحديقة « بوابة » تؤدي الى الخارج · من باب البيت يمتد ممر ينتهي عند جدار الحديقة الغربي · ممر آخر يمتد من الشمال الى الجنوب قاطعاً الممر الاول

في الوسط · عَلَى طول السور — عند اسفله — وعَلَى جهتي الباب اشجار ياسمين مشتبكة الاغصان · في الحديقة اشجار من التفاح والخوخ والمشمش والسفرجل واللوز — بعضها قديم فيه كثير من الاغصان اليابسة وبعضها صغير وكلها مغروسة بدون ترتيب · اشجار التفاح والخوخ والمشمش واللوز مزهرة · الى الجنوب الغربي من ملتقى الممرين شجرة تفاح قديمة مكسوة بالزهر تحتها مقعد خشبي · عَلَى المقعد ام الياس وموسى بك · في يد ام الياس مكوك وبكرة خيطان · في يد موسى بك عصا غليظة · حول رقبته طوق مكوي لكنه مكسر ومغطى بالوسخ من العرق والغبار · ربطته غليظة قديمة مزقة · ثيابه افرنجية لكنها قديمة العهد لم ترَ الكاوي اكثر من سنة · عَلَى صدره سلسلة فضية غليظة · وعَلَى رأسه طربوش احمر مكسر اطرافه « مزقنة »)

موسى بك — (منحنياً عَلَى عصاه) لكن قلت لي زينه صاوت تروح وتجي ؟ اي · الحمدالله عالسلامه يا امراة خيي ·

ام الياس — (بتخشع) الله يشكر حمدك ·

موسى — صدقيني — انا من يوم اللي سختت هالبنت وانا متل الملطوش عَلَى وجهي · لا يهنا لي اكل ولا يهنا لي شرب · ان نمت ما افتكر الا فيها · وان قمت ما افتكر الا فيها

ام الياس — ما في شك بحبتك يا موسى بك ·

موسى بك — لكن لو تشوفي تاصيف ! هاداك لا عاد باكل ولا عاد

يشرب · اسم زينه ما يطلع من تمه · كيف ما راح كيف ما اجا — « زينه زينه · زينه · » قال « ان ماتت زينه لا سمح الله — بدي موت وراها » · ليش الحكي — بيحبها حب مش بوعي · حب فوق الوصف يا مراة خيي ام الياس ·

ام الياس — عن تخبرني انا ؟ ما بعرفش ناصيف ! بيحبها يا ولدي — لكن ، سبحان الله ! ليش تابيقولوا — المحبة خصايص والغضب عموم · هي اذا ذكرت لها اسم ناصيف بيطير صوابها · بتجن بفرد مرة · (باهمية) ضميري فاقدني انه حدا كاتب لها لهالبنت · من قلة المحسدين والمبغضين ! بحدك فائق لمن جيت تشق عليها وهي ساختة انت. وناصيف بك ؟ بعلمك هالبنت غايبة عن وجه الدني · هالحمه عليها تقلي وتشوي ! هي ليلة الكانت مخطرة كتير ، ليلة ١١ قال الحكيم انها هات تصافح هات ما تصافح ، لا عادت عرفتني ولا عرفت اخوتي ولا عرفت حدا ، لكن بس قرّب لها ناصيف وقال لها — بتعرفيني ازينه ؟ فتحت عينيها وبس لمحته ولعت متل الجوته وصرخت صوت — الله المجير — انا قلت راحت من ايدي البنت — « خذوه من هون » حتى ما عادت شافت اتر ناصيف بالاوضه · ومن بعدها — ولدي — ضلت تترقوص بنومها وتعيط « خذوه من هون »

موسى — عاحجة الحمه الواحد بيقول ايش ما كان · ما بتعرفيش المحموم كيف بتضيق منافسه وبيصير يلاطش خياله ؟..

ام الياس · وشي قديش قضت ! ولدي قديش ذاقت ! شايف قشقة

الشوفان — مثل قشة الشوفان صارت · لو بعرف بس منين جابت السم ؟
الحكيم قال انه السم سرح بجسمها · ربك ستر ما وصلش لقلبها · عشرين
ليلة وعشرين نهار ضلت عافرد حال · لا طيبه معروفه ولا ميته معروفه · لولا
هاالبنت الحلال — الله يوجه لها الخير — هي شهيده ، اخته للمعلم داود —
لولاها كانت قشطت زينه « يا ولدي » من ايدي · اول ليلة لوقعت فيها
زينه اجت وقالت لي « خليني اخدمها » · انا — بدك للصحيح — ارتجفت
مصاريني منها كنت بعدني مخمنتها « مثل ما قلت » بنت عاطله ، وانها مش
اخته للمعلم داود · لكن زينه ما كانتش تخلي حدا غيرها يقرب صوبها ·
قلت « يا ويلاه · ما دام زينه بدها ياها خليها تقعد » · ويا موسى بك ! انا
وقعت عيني عابنات كتير · لكن مثل هاالبنت لا شفت ولا بقى شوف —
الله ما خلق مثلها · قعدت فوق راس زينه مثل هاالملاك · ضلت عايومين
تلاته لا تاكل ولا تشرب · جنس النوم ما كانت تعرفه · ما فيش ساعة
بالليل افتح عيني تاشوفها قاعده عاهاالكرسي مثل الصلاب · سخنت لي
قلبي · بالاخر قلت لها « قومي نامي لك شوي يا بنتي انا اقعد مطرحك »
لا سمح الله انها تنام · قالت « انا صبيه يا خالتي ام الياس · فيي اسهر · انت
اختياره » · ما ألبق دياتها وما اطرا لسانها ! الحكيم انجلق فيها · مبارح بيقول
لي — « ان كانها بنتك خلصت ما حدا خلصها غير هاالبنت الحلال · لازم
تركعي قدامها وتغسلي لها جريها كل صبح ومسا وتشربي زومتهن »

موسى — لكن انت مصدقه انها اخته ؟

ام الياس — لا · لا · حرام يا موسى بك حط بنت متل هي بذمتي · بنت متل هي بزمانها ما بتعرف النقص ولا بتمشي عَلَى دروب العطال · لا · لا · لا · حرام · وبعد هادا وكله — هي متل خيها مخلق منطق · مينهم ما شافهم يقول من فرد ام وبي · لا · لا · بنت آدميه — بلا زغرة — تايفضل عنها · فقيرة بس ·

موسى — وهلق شو ناويه تعملي بزينه يا امراة خيي ؟

ام الياس — انا بعرف ؟ يعملي طاعون ! بعد هاللي ذقته وهاللي قضيته يا موسى بك ما عاد لي عزم يتحرك ولا لسان يحكي · انا نذرت نذر — انه اذا صحت هالبنت خليها تعمل اللي بدها اياه · انا لا عدت قول لها خدي فلان ولا خدي فليتان · انا صدقت ايا ساعة بترجع لعافيتها · بدها ناصيف تاخده · بدها ابن سلامه تاخده ، بدها الفرد الاسود تاخده · انا بدي نزل الحملة عن ظهري · بيقديني هاللي صابني ·

موسى — لا تواخذيني يا امراة خيي اذا قلت لك هالكلمه ؛ ولو طلعت تقيله — كل شي صابك من ايدك · من رخاوتك · انا كنت عندك اخت الرجال · لكن ايش بدي قول اذا كنت بشوفك بتمشي عاهوى بنتك وبتفزعي تكسري لها خاطرها ! هي رخاوة يما لا ؟

(زينة وشهيدة تخرجان من البيت الى الحديقة متجهتين نحو الغرب وآخذتين الواحدة بيد الاخرى)

زينة — (وقد ابلت من مرض طويل آثاره لا تزال بادية عَلَى وجهها ·

تمشي الهوينا · حركاتها قليلة وضعيفة · لكن العاطفة أخذت ترجع اليها بسرعة · تنادي بصوت ضعيف) يا امي ! يا امي ! اين انت ؟

ام الياس — (باسمة) انا هون يا روح امك · هون تحت التفاحة ·

(زينة وشهيدة تتجهان نحو التفاحة)

ام الياس — (الى موسى بك) بتقول لي رخاوة · ايش بدي اعمل اكتر من هيك ؟ اكتر ما ضربتها وحبستها بالبيت وصومتها عاريق بطنها ؟ لو ماتت — لا سمح الله — ما كانوش الناس بيقولوا انها امها قتلتها ؟ وانا دمدم قلبي من حكي الناس يا موسى بك · ما حاجتيش اللي صابني ؟ ما حاجتيش حكي الناس ؟ انا اللي عملته ما حدا عمله · واللي احتملته ايوب ما احتمله · لا · لا · لا ! حاجتي مصيبتي · خليها تعمل اللي بدها ياه — بس تضل طيبه · هلق بتجي لهون · قنعها تاتاخد ناصيف بك · احكي لها شي كلمتين يقطعوا عقلها — بلكي بتسمع منك · (شهيدة وزينة تقتربان من التفاحة) انا هون بنتي · يا روحي · انا هون !

زينة — (مقتربة مع شهيدة من امها وموسى بك) يا امي بدي بشرك بشارة ···· (يقع نظرها على موسى بك فتقصف راجعة الى الوراء وجاذبة شهيدة بيدها)

ام الياس — زينة ! زينة !

زينة — (بدون ان تلتفت الى الوراء) ماذا يعمل هذا الرجل هنا ؟ ليذهب من هنا ! ليذهب من هنا !

ام الياس — (الى موسى بك) شفت ؟ ايش طالع بايدي بعد ؟ بقدر بنزل فيها بالعصا ؟

موسى — لا تلوميهاش . لا تلوميهاش يا ام الياس . بعدها قايمة من السخونة جديد . لكن لومي حالك . شايف لك انت ناويه عاهلاكها . مش هيك امشي فيك يا ام الياس !

ام الياس — يا تعتيري انا . قل لي — ايش بعمل ؟ ايش بسوي ؟

موسى — انت اخت الرجال وعن تسأليني ايش بتعملي ؟ مني ومنك انا اذا كنت بعرف انها بنتي عاشقه انسان دون ، سقط ، الله بيعلم شو دينه وشو اصله ، واذا كان مقدم لها عريس آدمي وابن اوادم ، ما كنتش بقعد بداويها على خاطرها ، بجيب الحوري وبصليها — وخلصت المسألة . اسمعي مني تاروح ورا الحوري حنا اليوم واشرح له السيرة ، وانا بتكفل انه الحوري حنا بيصلي . بدك احسن من هيك ؟

ام الياس — وبلكي رجعت هالبنت وسخنت وماتت — لا سمح الله — ايش بيقولوا عني الناس ؟

موسى — شو بدك بالناس . يحكوا تاينشقوا ! انت عليك تدوري عاصالح بنتك . هيك بسالا ؟

ام الياس — هادا ما أكد .

موسى — سامعتها ليش الرايح والجايي ؟ — خليني روح ورا الحوري وانا بتكفل لك انه اذا اصابني شي هالبنت بيعصيبها شي . بدك اكتر من

هيك . عليي . انا كفيل ضمين انه هالبنت ما بتصيبها عطب .

ام الياس — اوف . اوف . ما بعرف ولا بدري ! قلبي ناقدني — الله يسترني وبهونها عليي .

موسى — قلت لك انا كفيل ضمين . من ايش فزعانه بعد ؟

ام الياس — انا فزعانه حط هالبنت بذمتي . لكن اذا كنت بتكفل انه ما بيخسها شي ، عمول بمعرفتك . انا بروح بحاكيها كلمتين — للكي بتقنع مني .

موسى — (ينهض) فاذن انا رايح . عن قريب يرد عليك خبر ومنشوف شوه منعمل . (يذهب نحو البوابة ويخرج)

ام الياس — انا ربتي ما كون ! ان كنه هالبنت بيعود يخسها شي . ايش بيعود يخلصني من لسانات الناس ؟ (تنهض وتذهب نحو انبيت تلتقي بزينة وشهيدة آتيتين نحو التفاحة فتأخذ زينة بيدها ويرجع الثلاث الى المقعد . زينة وام الياس تجلسان . شهيدة تبقى واقفة)

زينة — هل انصرف هذا الشيطان من هنا يا امي ؟

ام الياس — عيب يا بنتي عيب ! ما اسموش الا رجال ختيار ومنشاف بين الناس .

زينة — عيب ان ندعو الشيطان شيطاناً ؟ هذا ليس شيطاناً بسيطاً يا امي . هذا شيخ الشياطين . ألم تسمعي باذنك ما قاله عن داود وشهيدة — فهل رجل اسود النية والضمير مثله هذا من الشيوخ الذين لا يجللهم الشيب .

فلا تغترين بشعره الابيض · لولاه لما جرى ما جرى لي ولما احتملتِ ما احتملتيه من العذاب لاجلي ·

ام الياس — يا بنتي شو لنا عند العالم · انسان يده صالحنا — من قول له — ديّات بيك ؟

زينة — هذا العفريت يريد صالحنا ؟ ما ابسط قلبك يا امي ! كنت اعد نفسي بسيطة فاذا انتِ ابسط مني · هذا لا يفتش عن صالح احد سوى صالحه · لا يهمه احد في الدنيا سوى نفسه · أتظنين انه يطلبني لابنه حباً بابنه او بي ؟

ام الياس — لكن ليش ؟

زينة — او · امي · امي (تضحك) اني اعرف اشياءَ كثيرة لا تعرفينها انتِ · هذا المحتال قد اثقلت ظهره الديون · ابنه مديون وهو مديون وبيته مرهون · فهو يريدني حباً بدراهمي وليس بي او بابنه · ويريد ان يفي ما عليه من الدين قبل ان يبيعوا بيته ويضعوا ابنه في السجن · هو يعرف ان امامه آخرة كآخرة الكلاب · ولم يجد طريقاً للحصول على المال اسهل مني · فحجب اليك وغشك بنواياه الحسنة · ونواياه اسود من الفحم يا امي · نعم هذا اكبر خداع ومداج في العالم ·

ام الياس — اسمعي ايش بتقولي · موسى بك مديون ؟ هادا ما بيصير

خليل — (يخرج من الباب الى الحديقة راكضاً ومنادياً) — وين رحتو زينه · الياس · امي ! وينكم ؟

زينة — هنا · ها يا خليل · (الى امها) هذا صائر يا امي · وسينكشف عن قريب ·

خليل — (مقتربا من الفساحة) ولك وينكم ؟ (يراهن) عرفتوا ؟ عرفتوا ايش صار ؟

شهيدة — ماذا · ماذا ؟ هل حدث مكدر لالياس او داود ؟ مذا ؟ عجل ·

خليل — (مقهقباً) ولك البيك · البيك · بيكنا — حبسوه !

زينة — (تثب عن مقعدها وتعانق خليل متهللة) موسى بك او ناصيف بك ؟

خليل — ناصيف · ناصيف · قه · قه · قه ! العسكري يقول له — تفضل عالحبس وهو يغني — « البوكر قرّح لي قلبي » قه · قه · قه · قه ·

ام الياس — (مذهولة) ولك عن تضحك يما عن جد ؟

خليل — عن يضحك ؟ ريتني اضحك انا وكل اهلي انشاالله ! وايش بعمل — يبكي ؟ شي بيضحك غصب · قاعدين كنا اربعتنا بقهوة الجسر · شربنا هلي شربناه وعن نلعب دق بوكر · ناصيف بك مكيف — ربحانا شويه — لا عنده ولا عند باله · شويه والا جايي عسكريين « مين منكم ناصيف بك العركوش ! » ناصيف قال « انا » خمن جايته عزيمة من القائمقام · « تفضل عالحبس » ليش ما ليش ؟ — قالوا — « دعوة مدايتيه بالمحكمة بيخبروك ليش » اجا بده يحكي طالع نازل — سحبوه متل الكلب · ساعتها ما عاد فتح تمه · قه · قه · قه · يا حوينتك يا ناصيف بك · البوكر قرّح

بلي قلبي ! قه · قه · قه ·

زينة — (بفرح الى امها) ألم اقل لك يا امي ؟

خليل — هادا ما هو شي · الضربه عَلَى بيه اللي عن يبيعوا له بيته بالمزاد · عَلَى اونا · عَلَى دوه · الليلة يما بكرا بيكحوه من بيته متل الكلب ·

ام الياس — (بدهشة كلية) موسى بك ؟

خليل — اي · اي · موسى بك ما غيره · موسى بك بوقرعه ·

ام الياس — (ضاربة رأسها بيدها) تنكحري يا بنت العرموني ! ولك موسى بك هلق كان هون ·

خليل — هلق كان هون وهلق راح يحضر بيع بيته ·

ام الياس — (تمشي نحو البيت) سبحانك يا ربي في ملكك — هاالدنيا كيف هي مركبة شكل !

خليل — (يتبعها) ما عليش يا امي · ما عليش صعبت عليك ؟ ياما بيجي من الله ·

زينة — (تعانق شهيدة بلهفة) شهيدة · شهيدة ! لماذا لا ترقصين ؟ لماذا لا ترتلين ؟ لماذا لا تقولين شيئاً ؟

شهيدة — وماذا اقول ولساني لا يتحرك من الفرح · قلبي يرقص وقلبي يرتل ·

زينة — (تهزها من كتفها) شهيدة ! طفح قلبي · طفح قلبي بالفرح · صلّي قولي معي

« نشكرك يا رب ! » أتدرين ماذا يعني كل هذا ؟ أو — شهيدة ! لماذا لساني قصير ؟ لماذا لا اقدر ان اقول ما احب ان اقوله ؟ تأملي — ان موسى بك وناصيف بك وخيثهما واحتيالهما وغضب امي وقساوتها — كلهم — كل ذلك — قد اصبح ماضياً · ماضياً ولم يعد لا حاضراً ولا مستقبلاً تأملي — ان ما كنا نراه في الحلم اصبح يقظة · موسى بك اختفى · وناصيف بك اختفى · وامي لن تعاند بعد ما رأت انها كانت مخطئة في ما ظنت · وانها اسامت نحوي ونحو نفسها · شهيدة ! حبيبتي ! لولاك لما كنت واقفة الآن هنا ارتجف من الفرح · لولاكِ لما عشت لارى هذه اللحظة واتمتع بهذه السعادة ! (تقبلها) شهيدة ألستِ انت سعيدة مثلي ؟

شهيدة — انا سعيدة مثلك واكثر منكِ · سعيدة بسعادتي وسعيدة بسعادتك · لكني — لشدة فرحي — قد ارتبط لساني · واخاف اذا تكلمت ان تذهب مني سعادتي كما يفلت عصفور من قفصه

زينة — انا احب ان اسكت كذلك — لكن لا اقدر · لساني يتحرك غصباً عني · واذا سكت لساني تكلمت عيناي وفمي ويداي وكل اعضاء جسدي ·

شهيدة — لا تنسي انك لا تزالين ضعيفة وان التهيج يؤثر بك ·

زينة — تهيج كهذا ينفع لا يضر يا شهيدة · واذا جاء الموت بسببه فلا بأس حينئذٍ من الموت · لكن — شهيدة — قولي لي « بحياتك » كيف

يقدر الناس ان يكونوا مثل موسى العركوش وابنه ؟ كيف يقدرون ان يخدعوا الغير وينصبوا لهم الاشراك ويعدموهم الصحة والسعادة والحياة اذا امكن لاجل ارضاء شهواتهم فقط ؟ خذي لكِ مثلاً — انا في حياتي لم اسبب للعركوش او ابنه اقل ضرر . ولا كان في قلبي قطرة من البغض نحوهما قبل ما فعلا ما فعلاه بي . فلماذا سببا لي كل هذه الاوجاع ؟ يريدان ان يحصلا عَلَى اموالي فلماذا لم يطلبا اموالي ويتركاني عَلَى حدة في راحة ؟ أتعرفين اني ، لو طلبا قبل اليوم مني مالاً ولم يتعرضا لسعادتي ، لاعطيتهما المال بكل سرور ؟ ماذا فعلت بهما انت او داود حتى حاولا ان يسودا اسميكما كقلبيهما الاسودين ؟ لو لم اقاسي من هذين النذلين ما نلته من العذاب لما ابغضتهما ولما دخل البغض قلبي عَلَى الاطلاق . انا ابغض البغض .

شهيدة — البغض في وقته ومحله فضيلة كبيرة كالمحبة يا زينة . في العالم اناس محبتهم جريمة — وموسى بك وابنه منهم — وفي العالم اناس بغضهم اثم — وانت واحدة من هؤلاء الناس .

زينة — ستعجبين اذا قلت لكِ اني في هذه الدقيقة . في هذه اللحظة ، اشعرت بانقباض قلب مؤلم . أتصدقين ان قلبي انقبض شفقة عَلَى موسى العركوش وابنه . انتِ تضحكين — وانا لا ادري كيف انسى ذلك . تذكرت كلمات خليل — « الليلة بما بكرا بيكحتوه من بيته متل الكلب » فصورت لذاتي هذا المسكين — موسى بك — دائراً في الاسواق لا سقفاً فوق رأسه ولا قر في الارض يقدر ان يقول — « هذا ملكي » . صورتهُ

شيخاً مثله ، نصفه في القبر ، دائراً على الابواب يستعطي وصوري ابنه ، رجلاً في منتصف العمر ، ينتقل من حانوت الى حانوت ومن خمارة الى خمارة وجيبه فارغة ونيابه رثة ... أو شهيدة ! (ترتجف) . مرّت هذه الصورة امام عيني فانقبض قلبي . قوني ما شئتِ . وادعيني ما شئتِ ، فانا لستُ ملكة عواطفي . احب ان ابغض والآن ادركت اني لا اقدر ان ابغض . فماذا تفسرين ذلك ؟

شهيدة — اذا سألت الياس او داود فربما قدرا ان يحللا ذاك لك . (الياس وداود يدخلان الحديقة من الشارع راكضين)

زينة — (اذ تراهما) اذكر الذيب وهيي، القضيب . (باعلى صوتها) داود ! الياس ! نحن هنا نحن هنا !

الياس — (عندما يقترب منهما لاهثاً من التعب) اين امي ؟ اين امي ؟

زينة — في البيت . ماذا جرى ؟

الياس — ألم تسمعا الخبر ؟ ألم تعرفا الى الان ماذا جرى ؟ قصّ عليهما ما جرى يا داود . اخبرهما ماذا حلّ بهذا اللئيم وابنه .

شهيدة — العركوش وابنه ؟

الياس — اي . هل اخبركم احد ؟

زينة — قد اخبرنا خليل .

الياس — اذن ماذا ننتظر بعد ؟ اين امي . في البيت . (يركض نحو البيت) شهيدة . شهيدة . تعالي معي . تعالي معي سنحاصر امي الحصار

الاخير واظنها تسلم بدون معارضة . (شهيدة تنهض وتتبعه)

داود — (آخذاً بيد زينة) كيف تشعرين الان ؟

زينة — داود . داود ! لا ادري كيف اشعر وبماذا اشعر . في كل حياتي لم اشعر بما اشعر به اليوم . احب ان ارقص احب ان اركع واصلي ، احب ان اغني ، احب ان اقبل هذا الحجر وان اعانق هذه الشجرة وان احدث ذاك العصفور وان اضع كل هذه الازهار وكل السماء وكل الارض في قلبي . واظن ان قلبي طافح الان لانك انت في وسطه وكل هذه الاشياء تحيط بك . اغرك عيني (تغرك عينيها) لا . كد لنفسي اني لست في حلم بل في يقظة . احياناً يخيل الي اني قريبة من الجنون . هل انت فرخ مثلي ؟ (تضع يدها على كتفه وتنظر في عينيه)

داود — (باسماً) ألا تخجلين ان تسأليني هذا السؤال ؟ اخاف لو جئت لاصف لك فرحي ان يكون وصفي سكوتاً . انظري الى عيني . انظري الى حاجبي . انظري الى فمي . ضعي يدك هنا (يأخذ يدها ويقبلها ثم يضعها فوق قلبه) . هل تريدين خطيباً افصح من هذا الخطيب ؟ (يقبل يدها ثانية)

زينة — (آخذة يديه بين يديها) أو ، داود ! وكل ذلك من اجل ابنة جاهلة ، ضعيفة مثلي ؟

داود — وكل ذلك من اجل ملاك طاهر مثلك .

زينة — أتذكر لما قلت لي اول مرة « احبك يا زينة ! » ؟ قل ذلك مرة بعد .

داود — احبك يا زينة !

زينة — بعد .

داود — احبك يا زينة . احبك يا زينة . احبك يا زينة ! (يقبل يدها)

زينة — (تضحك واضعة يدها على فمه) يكفي . يكفي اخاف اذا اكثرت من اعادتها ان تنسى معناها وتعيدها كالببغاء .

داود — هل حدثت امك في الامر بعد ؟

زينة — لم يبق خوف من امي . خبر افلاس النركوشين سقط عليها كالصاعقة . اظن ان قد شق عليها جداً انها هي — ارملة بطرس سماحه وابنة جرجس العرموني مع كل فهمها وعقلها — لم تدرك غش النركوش وخداعه حتى آخر دقيقة . واظن انها تشعر مذنبة امامك وامامي وامام الياس لكن كبريائها لا تسمح لها ان تظهر ذلك . فالاحسن ان نتحاشى كل ما من شأنه ان يجرح محبتها الذاتية . (يظهر الياس وشهيدة في الباب خارجين الى الحديقة وسائرين نحو التفاحة) .

داود — ارى الياس وشهيدة راجعين بدونها . فما السبب ؟

زينة — لعلها تأتي عما قريب . ألا تعجب كيف انقلب الياس — كيف كان وكيف اصبح اليوم — وشهيدة كانت سبب انقلابه العجيب كما كنت انت سبب انقلابي . (الى الياس وشهيدة وقد اقتربا) اين امي ؟

الياس — جالسة في غرفتها تبكي وتلطم خديها .

زينة — (بدهشة) تبكي ؟

الياس — قبلت يديها ورجليها · توسلت اليها ان تخرج معنا الى الحديقة وهي تبكي وتقول —

« روحوا اعملوا اللي بدكن اياه · انا ربيتي ما كون · » اذهبي اليها انت وداود لعلها تسمع طلبكما وتخرج معكما · (زينة تأخذ داود من يده وتسير معه نحو البيت ·)

شهيدة — ما اغرب اطوار امك ! أتصدق اني لم ار دموعها حتى اليوم ؟ وما اشد تأثير دمعة من عين امرأة جبّارة ؛ مستبدة كأمك · (تجلس على المقعد ·)

الياس — (واقفاً) لعلها تكثر بهذه الدموع عن هفواتها السابقة · لكن دعينا من البكاء الان · فلا دموع امي ولا بحار مثلها قادرة ان تمكر كأس سعادتي · (بحرارة) شهيدة ! (يأخذ يديها في يديه وينظر في عينيها ·) انت في الكل بالكل في هذا العالم · واكاد اعتقد ان العناية الالهية ارسلتك لتجاتي · شهيدة ! انا عاجز ان اقسر لك اهمية حبك في حياتي · قد مر بي اكثر من خمسة وعشرين ربيعاً · وفي كل ربيع كنت اخرج الى هذه الحديقة وارى هذه الاشجار مزهرة واسمع هذه العصافير تزقزق وارى السماء الزرقاء واشعر بصوت النسيم البليل · لكني قبل هذا الربيع لم اكن ارى الجمال في كل ذلك · واليوم لا ارى الازهار فقط بل ارى الحياة تدب في عروقها واكاد ألمس اريجها · اليوم لا ارى زرقة السماء فقط بل ارى ما وراء السماء ولا اشعر بالنسيم فقط بل ألمس روح النسيم · واسمع تغريد العصفور فافهم

ما يقوله العصفور . وكل ذلك لان حبك قد اعطاني نوراً جديداً لعيني وقد كنت بدونك اعمى (يضع يدها اليمنى ثم اليسرى على فمه ثم يجلس بجانبها .) شهيدة ! ما اجمل الحياة !

شهيدة — (تفهقه مخرجة من جيبها ورقة ثم تقرأ بتمهل) بتاريخه نحن الواضعين اسماءنا ادناه قد تعهدنا ان نضع حداً لحياتنا بواسطة المشنقة ... (تضحك)

الياس — (يخطف الورقة من يدها بلطف باسماً) ألا يكفيك هزءاً بي حتى تذكريني بجنوني في مثل هذه الدقيقة التي احسبها بدء حياة جديدة لي ؟ كان دهراً قد مرّ من يوم كتبت هذه الورقة حتى اليوم . لتدفن الماضي ! (يمزق الورقة قطعاً صغيرة) فانا اتعهد الان على نفسي ان اشنق كل من لا يرى في الحياة سوى اشواكها وكل من يفرق بين قلبين يربطهما حب كحبنا . (تظهر في الباب ام الياس وقد اخذت زينة بيدها اليمنى وداود باليسرى وخليل يمشي وراءهم والكل يسيرون نحو الياس وشهيدة)

شهيدة — (بمزح) أو تشنق امك كذلك اذا اصرّت على رفضها بقبول اتحادنا ؟ (اذ ترى ام الياس قادمة) ها هي قادمة نحونا — فماذا تفعل اذا اقتربت مني وصاحت — « اغربي عن وجهي ؟ (تبسم)

الياس — انا اكفل رضاها . انا اعرف كيف ارضيها الان .

زينة — (وقد اقتربت مع الباقين من المقعد . الى امها) اجلسي يا امي ، يا حبيبتي ، فقد تعبت (تجلسها بلطف وحنو . الياس وشهيدة ينهضان)

ام الياس — (تجلس وتنهد تنهدة عميقة وآثار الدموع باقية على خديها)
اوف · اوف ··· لا يعرف · ولا يدري ···

الياس — (الى امه ؛ بعد سكوت قصير) اسمعي يا امي · مر بي زمان طويل لم احدثك فيه كأمي وكثيراً ما كنت انسى تماماً ان لي اماً · انت كنت تحسبيني ابلهاً او مجنوناً او نحو ذلك · وانا لا انكر اني كنت غريب الاطوار ؛ متقلب الافكار ؛ سريع الغضب ؛ كثير الزهد ؛ قليل الكلام ؛ قليل الضحك · انا ابغضتك مرة بل مراراً يا امي لتصرفك مع زينة وانقيادك للعركوش وبغضك لبقية الناس الذين لا يصلبون كما تصلين ولا يصلون في الكنيسة التي تصلين فيها · (ام الياس تبكي)

زينة — (مبكتة) الياس ! الياس ···

الياس — مالنا وللماضي يا امي · اليوم يجب ان تضحكي وترقصي ولو كنت عجوزاً · ابنك الياس كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد · ولم يقمه من الاموات ولم يجده ويرجعه اليك سوى هذه الروح النقية الطاهرة (يأخذ شهيدة من يدها ويجذبها الى الامام ويوقفها بجانبه) شهيدة هي التي ارجعت اليك اثنين من بنيك · لولا سهرها ومحبتها واعتناؤها لما كانت زينة واقفة بيننا الان (ام الياس تتنهد) ولولا حبها وتقاوة روحها وعظم اخلاصها لما كان ابنك الياس اليوم من الاحياء · امي ! انا لا اقدر ان اعيش بدون شهيدة · لذلك اطلب اليك ان تباركيني معها كعريس وعروس · وان تقبليها كأبنتك الثانية · (يركع مع شهيدة امام امه)

السلام يا ملك اليهود — للمصور شيندلر

ام الياس — (متنهدة وباكية) ايش مني ومن بركتي انا ؟ الله يبارككم يا ابني · (تضع يدها على رأسيهما · الياس وشهيدة ينهضان ويقبلان يدها)

الياس — ستريين منا ما يفرح قلبك ويجعل آخرتك سعيدة يا امي ·

ام الياس — ان شا الله بتعيشوا العمر كله يا بنيي (سكوت)

داود — (متقدماً نحو ام الياس) والان قد جاء دوري · ام الياس — ام تسمحين لي ان ادعوك كذلك امي ؟ انا اعرف انك ابغضتني من اول يوم رأيتني في بيتكم · وزاد بغضك لي لما علمت ان زينة تحبني واني احب زينة ابغضتني لانك ظننتني هرطوقياً · وظننتني هرطوقياً لاني لا اذهب الى كنيسة · وانا يا ام الياس مسيحي ، واجتهد ان اكون مسيحياً على قدر امكاني · انا مسيحي بدون كنيسة لكني اجتهد ان لا اسرق ان لا اقتل ان لا ازني ان لا اشهد بالزور · فاسألك باسم يسوع نفسه ان لا تبغضيني لاني احب يسوع · لا تبغضيني لاني اريد ان اجد فيك اماً ثانية · ولان محبتك لي ولزينة تضاعف سعادتنا — انت ابغضتني كذلك لاني فقير — وانا لست فقيراً يا ام الياس · لا الاف عندي مخزونة — انما عندي عزم · وعندي محبة · وعندي قوة · وعندي قليل من العقل — وذاك يكفيني لتحصيل معاشي ومعاش رفيقتي بشرف وعزة نفس · انت ابغضتني كذلك لان لا حسب لي ولا نسب · نسبي وحسبي — انا ، لا غيري · ولا اريد ان ألبس وساماً من الشرف منحوتاً من عظام آبائي واجدادي · حسب العركوش ونسبه لم يخلصاه من السجن · وبعد كل ذلك فانا لا اقدر ان اعيش بدون زينة وزينة لا تقدر ان تعيش

بدوني · اعدك هنا امام الله اني ساحافظ عَلَى زينة اكثر مما احافظ عَلَى حدقة عيني · اذا كنت اسأت اليك بشيء فارجو المعذرة · اقدم نفسي كما انا — مسيحياً بدون كنيسة ، وشاباً بدون غنى ومعلماً بدون حسب ونسب · زينة راضية بي فهل انت راضية كذلك ؟ (ام الياس تبقى صامتة مطرقة بالارض) انا اطلب رضاك عَلَى الاخص لاجل زينة · هي تحب ان تبقى تحت جناحك ما دام لها الى ذلك من سبيل · واطلب رضاك لنفسي كذلك لاني ، كما قلت ، احب ان اجد فيك اماً ثانية ·

زينة — (تجذب داود من يده وتركع امام امها فيركع داود بجانبها) امي · امي ! باركينا !

ام الياس — (بعد سكوت وتردد تباركهما باكية) الله يكون معكم يا بنتي الله يبارككم (داود وزينة ينهضان ويقبلان يدها)

زينة — (تنطرح عَلَى عنق امها) امي · امي · ما احسنك لما تكونين راضية · ابقي هكذا دائماً (تعانق شهيدة) شهيدة حبيبتي ! تمت امانينا

خليل — (يقع عَلَى ركبتيه امام امه ويخرج من جيبه قنينة عرق · يرفعها في يده) امي · امي · باركينا · لا انا بقدر عيش بلاها ولا هي بتقدر تعيش بلايي ! (الحضور يقهقهون · الياس يأخذ امه من يدها ويمشي معها ومع شهيدة نحو البيت · داود وزينة يتبعانهم)

خليل — (متكئاً عَلَى عصاه) كل من حبيبه عنده · وانا بيعت لي الله ! (يرمي العصا في يده) أي ! داود · داود · (داوه يلتفت الى الوراء) عاوزك

بكلمة . (داود يرجع اليه)

داود — مالك ؟

خليل — (ضارباً بيده اليسرى كتف داود اليمنى) حط ايدك هون ! (يهز يده) عندك نفضة دين عروس روح جوات سبع بحور ما بتلاقي متلها . زينة ما حدا لبق لها غيرك . عيش بصحايفك ! انا مبسوط لك من كل قلبي . (بعد سكوت قصير) . وينك — ولو طلعت تقيله — معك تقرضني شي ليرة — ليرتين . الليلة برد لك ياهم — فايض المايا مايا . عيب يا الشوارب ان ما رديت لكش ياهم . (يمسك شاربه)

داود — لكن — خليل ...

خليل — (يقاطعه) لا تقول لي كاني ماني — وحياة شواربك وشواربي هي آخر مرة . شو مخمني انا ما بعرفش عيش بلا لعب قمار ؟ بكرا بدور لي عاشي بنت حلال متلك وبتجوز — لا بعود بسكر ولا بعود بلعب — قلت لك وحياة شواربك .

داود — (يخرج جزدانه ويعطيه بعض العملة) هذا ما اقدر ان اعطيك الان — ويا ليتك تبر بوعدك . وتترك القمار (يتبع الباقين)

خليل — عيش وحدك . شاباش لعيونك . (يقف برهة حائراً . ينظر الى الدراهم تارة ثم يخرج القنينة من جيبه وينظر اليها اخرى ويغني) كل من جيبه عنده — وانا بيعت لي الله !

(انتهت)